

البداية والنهاية

السلطان الملك الأشرف C وفي ليلة وفاتها كانت وقفت مدرستها وتربتها بالجبل قاله أبو شامة ودفنت بها رحمها الله تعالى وتقبل منها .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة .

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق على أن يرد إليه ولده المغيـث عمر بن الصالح أيوب المعتقل في قلعة دمشق وتستقر دمشق في يد الصالح إسماعيل فوقع الصلح على ذلك وخطب للصالح أيوب بدمشق فخاف الوزير أمين الدولة أبو الحسن غزال المسلماني وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر فقال لمخدومه لا ترد هذا الغلام لأبيه تخرج البلاد من يدك هذا خاتم سليمان بيدك للبلاد فعند ذلك أبطل ما كان وقع من الصلح ورد الغلام إلى القلعة وقطعت الخطبة للصالح أيوب ووقعت الوحشة بين الملكين وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فإننا الله وإنا إليه راجعون وكانت الخوارزمية قد فتحوها في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين وكان قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع ويسلطها على الناس فاتفق أنه عضه سبع فمات فتغلبوا على البلاد حينئذ وفيها احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجيلي وضرب بعضهم بالمقارع وصودروا ورسم على القاضي الرفيع بالمدرسة المقدمة داخل باب الفراديس ثم أخرج ليلاً وذهب به فسجن بمغارة أفقه من نواحي البقاع ثم انقطع خبره وذكر أبو شامة أنه توفي ومنهم من قال إنه ألقى من شاطئ ومنهم من قال خنق وذلك كله بذي الحجة من هذه السنة وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ منشور ولاية القضاء بدمشق لمحـي الدين بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي بالشباك الكمالي من الجامع كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة الآتية وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له إنه قد أورد إلى خزانته من الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس فأنكر الصالح ذلك ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى ألف ألف درهم فأرسل القاضي يقول فإننا أحاقق الوزير وكان الصالح لا يخالف الوزير فأشار حينئذ على الصالح فعزله لتبرأ ساحة السلطان من شاعات الناس فعزله وكان من أمره ما كان وفوض أمر مدارسـه إلى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فعين العادلة للكمال التفليسي والعذراوية لمحـي الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده والأمينية لابن عبدا لكافي والشامية البرانية للـتقي الحموي وغيب القاضي الرفيع وأسقط عدالة شهوده قال السبط أرسله الأمين مع جماعة على بغل بأكاف لبعض النصاري إلى مغارة أفقه في جبل لبنان من ناحية الساحل فأقام بها أياماً ثم أرسل إليه عدلين من بعلبك

ليشهدا عليه ببيع أملاكه من امين الدولة فذكرا أنهما شاهداه وعليه